يقدر أن عرضا عربياً بالتفاوض ــ وموحداً بدرجة ما ــ قد يدفع اسرائيل إلى الدخول في محادثات مباشرة»).

□ على أن الموقف الأوروبي ليس على الشكل الحاد في اختلافه مع واشنطن، اذ ثمة ظلال متنوعة تثلمه إلى درجة كبيرة. ومنها ما يترتب على الخضوع النسبي لتوجيهات الرئاسة الأميركية الصريحة أو بالتلميح (من تصريح ياسر عرفات في ١٩٨٠/٤/٢٨: «ان اوروبا لم تقدم حتى الآن أي مشروع عملي لتحقيق السلام بسبب الضغط الأميركي عليها»). ففي ١٩٨٠/٦/١، أي قبل اجتماع البندقية بأيام ــ قال الرئيس كارتر في حديث تلفزيوني ان الولايات المتحدة سوف تستخدم سلطة الفيتو لايقاف أي محاولة أوروبية غربية وذلك للحيلولة دون القضاء على كامب ديفيد أو قلب سياسته. وسبقت الاشارة إلى أن اعلان البندقية جاء بالفعل خالياً من أي صيغة عملية وتنفيذية. وقد تتالت التهديدات والتأديبات المهينة من اميركا واسرائيل نحو المجموعة الأوروبية بعد ذلك (منها قول كيسنجر أثناء زيارته لمصر في ١٩٨١/١/١٢: «على أوروبا أن تسكت عن الشرق الأوسط». وتعليق هيغ في ١٩٨١/١١/٨ على تصريحات كارينغتون في السعودية بأنها صادرة عن شخص غير مسؤول...)، فأتت مفعولها؛ إذ نجد التصريحات الأوروبية خليطاً من الدعاوة الواسعة للمبادرة والنفي أنها مبادرة فعلاً أو لها خطة عملية (تصريح وزير خارجية لوكسمبورغ في آذار (مارس) ١٩٨١ «انها افكار للتقارب»؛ وحديث لوزير خارجية هولندا في ١٩٨١/٧/٢ انه «لا توجد مبادرة اوروبية، والحل في كامب ديفيد». وقال وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية لوزير المواصلات الاسرائيلي في ١٩٨١/١١/٢٧ انه ليس هناك اية شروط مربوطة بعرض الدول الأوروبية الأربع للانضمام الى قوة سيناء). بل أطلقت بعض الدوائر الأوروبية الاشاعات بأن اميركا نفسها ستتحول إلى قبول مشروع فهد في الربيع القادم؛ وجاءت هذه الاشاعات تذييلاً للطنطنة العالية حول «ضغط» ريغان على مجلس الشيوخ لكي لا يرفض صفقة الأواكس. وفي نهاية الأمر، جاء الاعلان عن اشتراك الدول الأربع في قوة سيناء دون تأكيد «المبادرة» ذاتها التي صاغها مؤتمر البندقية.

□ وبالاضافة إلى ما تقدم، يجب الالتفات الى أن الاختلاف الأوروبي ليس جذرياً، بل أن ثمة اتفاقاً جوهرياً عميقاً بين سياسة اوروبا الغربية والسياسة الأميركية. ونذكر هنا باقتضاب: ترحيب الحكومات الأوروبية العام باتفاقيتي كامب ديفيد عند التوقيع عليهما (عن الاجتماع في لندن ١٩٧٨/٣/١٩)؛ واستعداد بريطانيا لارسال قوات عسكرية إلى الخليج (تصريح كارينغتون امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم ١٩٨١/٢/٦؛ استعداد انكلترا لتقديم المساعدات العسكرية لدول الخليج بمناسبة الوضع في ايران وافغانستان واليمن (١٩٨١/١١/٤)؛ وكانت بريطانيا وفرنسا من قبل قد ساهمتا في مظاهرة بحرية اميركية امام الخليج)؛ والتأكيد المتكرر بتطابق وجهات النظر الأوروبية ــ الأميركية وعدم إعاقة عملية السلام الأميركية (تصريحات المستشار الألماني الغربي ووزير خارجيته، ١٩٨٠/٣/١٣)؛ ومؤتمر القمة بالبندقية ايضاً للدول الصناعية الكبرى التسع (حضره كارتر) في ١٩٨٠/٩/١٩ والذي أظهر وحدة صفوفها في وجه البلاد المنتجة للنفط، واتهامها بمسؤولية الأزمة والتضخم في البلدان المتقدمة. هذا فضلاً عن أن اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ليست الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني إنما يتضمن اشراك العملاء في هذا التمثيل، فيلتقي بالخطة الأميركية الاسرائيلية والمصرية من الباب الخلفي، ويؤجل قبول المنظمة كممثلة وحيدة إلى أجل غير مسمى (تصريح شيسون في ١٩٨١/٧/٦ بأن «الظروف لم تسمح للفلسطينيين بالاختيار»؛ موافقة السادات على المبادرة الأوروبية ١٩٨١/١/١٢؛ اتفاق وجهة النظر بين اوروبا ومبارك ازاء مشروع فهد ١٩٨١/١١/٤). وقد وافق المجلس النيابي الأوروبي على قرار يدعو اساطيل الدول العشر للتنسيق في عمليات الرقابة على شواطىء الخليج العربي وافريقيا للتحكم على الخطوط البحرية لنقل النفط والمواد الخام الاستراتيجية في وجه «التهديد السوفياتي» (**ليموند**، ١٩٨١/١١/٢١)، وهو عينه ما تدعو اليه الولايات المتحدة. كما أن قوة بريطانية صغيرة اشتركت في مناورات النجم اللامع في عمان، وقامت قطعة بحرية مسلحة فرنسية بزيارة «ودية» للخليج قبل تلك المناورات مباشرة.

فبعد كل حساب، تتشكل مجموعة الدول الأوروبية هذه من البلدان صاحبة المستعمرات السابقة؛